بناء شخصيّة المرأة في القرآن الكريم (دراسة وصفيّة سيكولوجية لشخوص مختارة)

Building a woman's personality in the Holy Qur'an
(a descriptive psychological study of selected personalities)

أحمد عبد العالي *

جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر

ahmed.abdelali@ummto.dz

تاريخ الاستلام: 2023/09/01 تاريخ القبول 2023/10/16 تاريخ النشر 2023/12/31

ملخص:

تعرّضنا في هذه الدراسة لشخصيّة المرأة في القرآن الكريم وصفاً وتحليلاً وتفسيراً، من خلال التطرّق لبعض الشخوص النسائية المختارة ودراسة بنائيها النفسي والسوسيولوجي، فمهّدنا له بالحديث عن القصص القرآني الذي تُعدّ الشخصيّة أهمّ مكوّناً من مكوّناته، منطلقين من قُدُسيّة وخصوصيّة الخطاب الربّاني ومظاهر الإعجاز فيه، باعتبار أنّ له صفات يتفرّد بها عن غيره، فهو الحقّ الذي لا يشوبه باطل ولا يعتريه غموض أو خيال، وانتقلنا فيما بعد لعرض ماهية الشخصيّة في القصص القرآني، ثمّ حاولنا التمييز بين أنماط الشخصيّات النسائية المدروسة، فعرضنا شخصيّة مريم ــ عليها السلام ــ كنموذج للمرأة العابدة القانتة والطائعة لربّها، وشخصية بلقيس ملكة سبأ لساناً للمرأة الملكة التي تُحسن إدارة شؤون بيت الملك بحكمةٍ وتعقّل، وشخصية امرأة العزيز زُليخة كنموذج للمرأة العنيدة التي تغلِّب عواطفها على عقلها، في الأخير استنتجنا بعض الأبعاد الدّلالية والجمالية لكلّ شخصيّة من هذه الشخوص النسائية، مُبرزين تمثّلات وسلوكيّات كلّ واحدة منها وأسرار حضورها.

الكلمات المفتاحية: بناء، سيكولوجية، شخصيّة، المرأة، القصص القرآني، القرآن الكريم.

Abstract:

In this study, we presented the character of women in the Holy Qur'an in description analysis and interpretation, by discussing some selected female characters and studying their psychological and sociological structures, We prepared for it by talking about Quranic stories in which the character is considered the most important component, starting from the sanctity and

* المؤلف المراسل

specificity of the divine speech and the miraculous manifestations therein, considering That he has characteristics that are unique from others, for he is the truth that is not tainted by falsehood and is not tainted by ambiguity or imagination, We later moved on to present the nature of the character in the Qur'anic stories, and then we tried to distinguish between the types of female characters studied, so we presented the character of Mary - peace be upon her - as a model of the devout, obedient woman. obedient to her Lord, and the character of Bilqis, Queen of Sheba, as a tongue for the queenly woman who manages the affairs of the king's house well with wisdom and reason, and the character of the Aziz's wife Zuleikha, as a model of the stubborn woman whose emotions prevail over her mind. Finally, we deduced some semantic and aesthetic dimensions for each of these female characters, highlighting the representations and behaviors of each, One of them and the secrets of its presence.

key words: Structure, Psychology, Personality, Women, Quranic stories, The Holy Quran.

مقدّمة:

إنّ القرآن الكريم آية من آيات الله العظمى ومعجزة من معجزاته الكبرى، فقد عجَزَت عن محاكاته عقولُ البشر قديمًا وحديثاً، فسلَبَ عقولهم ببيانه ونظمه وروعة معانيه الخالدة، فهزَّ نفوسهم منذ نزول أولى آياته، فكان الإعجاز روحه الخفيّة التي سَرَت في عمق قارئه، فانبعث فيه اعترافٌ بأنّه من إبداع ذاتٍ متعاليةٍ، والبحث فيه والتدبّر في ألفاظه ومعانيه عمل لا تنتهي مادته ولا يقلّ زاده، وجهدٌ لا تضيع مساعيه ولا يخيب رجاءُ من خاض فيه.

جملة الفضائل التي يحملها الخطاب الربّاني في سائر نواحي الحياة، سيما سموّه باللّغة العربية إلى قمّة الشرف بين اللّغات، جعل الدّارسين والباحثين في معانيه وبناءه الفنّي يبذلون قصارى جهدهم في استنطاقه واكتشاف أسراره، كونه نموذجاً مثالياً ومنهجاً قويماً لتهذيب النفس البشرية، ولعلّ إعجازه وتفرّده بهذه الصّفات قد مَكّن أساطين البلاغة وأرباب البيان من الاستفادة من جمالية تراكيبه وروعتها، بل ونهلوا من فيض علومه ليستدلّوا بها وليحقّقوا بها مقاصدهم.

لقد عُني القرآن الكريم بالقصص كونه وجهاً من وجوه إعجازه، ويكفي أن نعلم أنّه جاء بأسلوب ربّاني له من الواقعيّة والصدق ودقّة التصوير ومن السّمات ما ليس في غيره، ولاشكّ أنّ القصّة القرآنية وإن كانت تشترك في بعض العناصر مع القصّة الفنيّة كالمكان والزمان والحدث والشخصيّات، إلاّ أنّها تختلف عنها في نواحٍ أخرى تتعلّق بالغاية والصدق وغيرها من الخصوصيّات التي استمدّتها من قدسية القرآن الكريم باعتباره تشريعاً سماوياً، واتّكاء النظم القرآني على القصّة في

مساحة كبيرة منه لدليل واضح على قدرتها في تأدية المضامين والأغراض السامية والتأثير في النفوس، كلّ ذلك بأسلوب لا متناهي الدقّة والبيان.

لا ريب أنّ القصّة القرآنية تحفل بالعديد من المزايا والظواهر الكفيلة بالبحث والدراسة على كافة المستويات، سواءً أكان ذلك في المعنى أم في المبنى، ولعلّ الإعجاز والجمالية التي يكتسيها السرد القصصي في القرآن الكريم قد فرضت نفسها في الحقول المعرفية بمختلف أنواعها، فأضحى على الدارسين إعادة قراءة الخطاب الربّاني والغوص في بواطنه بُغية تذوّقه والاستثمار فيه لغايات نبيلة، والحقّ أنّ القصص القرآني اشتمل على أخبار وأحوال الأمم والجماعات والأفراد، إضافة إلى الحقائق والحوادث التاريخية التي دعت إلى إعمال العقل واستلهام الحِكم، فضلاً عن أخذ العِبر والمواعظ، هذه الحمولة والأنساق المعرفية التي يتشبّع بها القصص القرآني تُؤسِّسُ لمجموعة من القِيم الحضارية الجليلة التي ترقى بالنفس البشرية إلى تسيير شؤون دينها ودُنياها وِفق ما شرّعه المولى عزّ وجلّ.

وإذا علِمنا أنّ القصّة ــ باعتبارها جنساً أدبياً ــ لها عناصرها الفنيّة التي تميّزها عن باقي الأجناس الأدبيّة، فإنّ من جملة ما حظِي به القصَص القرآني اشتماله على جميع عناصر السرد القصصي بما فيها الشخصيّة، والتي تعدّ الفلك الذي تدور حوله الأحداث والمحور الأساس لنقل وترجمة طبائع وأحوال الأنبياء والرّسل والتّابعين بوضوحٍ بعيداً عن التعقيد والغموض، ولاشكّ أنّ القصص القرآني قد عرض عديد النماذج للشخصيّة بمختلف أشكالها وسماتها وجعلها نماذجَ صالحة لكلّ زمانٍ ومكان، بهدف تحقيق أغراضٍ دينيّة وحياتية تصوّب الفِكر وتُقوِّم العقيدة وتنشر الفضائل الحميدة.

إنّ الحديث عن نماذج الشخصيّة في السرد القصصي القرآني يستدعي منّا التوقّف عند شخصيّة المرأة بالخصوص، ولعلّ الأهميّة التي يكتسيها موضوع المرأة في القرآن الكريم نابعٌ بالدرجة الأولى من التكريم الذي وهبه الله إيّاها، فأودعَ فيها من الإمكانيات ومظاهر القوّة ما يؤهّلها أن تقوم بأدوار مؤثّرة في المجتمع، وقام بتغيير التصوّرات والاعتقادات السلبية التي كانت موجودة في الحضارات القديمة، ولأنّ صورة المرأة في القرآن الكريم تختلف وتتمايز جوهرياً مع تلك الصورة النمطية للمرأة في الأعمال الأدبية والتي أُشبِعَت بحثاً ودراسة، حاولنا أن نقف عند مظاهر إعجاز المرأة في الخطاب الربّاني من خلال تسليط الضوء على سمات الشخصية خاصة في بنائيها النفسي والسوسيولوجي، ومن هذا وقع اختيارنا على شخصياتٍ ثلاث هي : مريم ابنة عمران ــ بلقيس ملكة سبأ ــ زليخة امرأة

العزيز، ذلك لاختلاف هذه الأنماط وتمايُزِ كلٍّ واحدةٍ منها على الأخرى، ورغبتنا في فهم أسلوب القرآن الكريم واستخلاص مضامينه ونَظمِهِ الفريد، وفي خضّم هذه الدوافع سَطّرنا التساؤلات التالية:

– ما مفهوم الشخصيّة في النقد الأدبي؟ وما أبعادها في الأعمال السردية؟

– ما المقصود بالشخصيّة في القصص القرآني؟ وكيف صوّر لنا القرآن الكريم شخصيّة المرأة في بنائيها النفسي والسوسيولوجي من خلال القصة القرآنية؟

– ما هي أوجه الاختلاف بين أنماط الشخوص المختارة (مريم، بلقيس، زليخة)؟ وما هي أبرز الأبعاد الدلالية والجمالية للشخصيات المتناولة؟

وللإجابة على هذه التساؤلات التزمنا بوصف الشخصيات الثلاث المذكورة آنفاً، ثمّ تطرّقنا إلى البناء النفسي لشخصيّة بلقيس، والبناء السوسيولوجي ممثلاً في شخصية مريم، ثمّ حاولنا التمييز بين أنماط الشخصيات المدروسة، وأخيراً ختمناهُ باستنتاجاتٍ للأبعاد الدلالية والجمالية لشخوص المرأة.

المبحث الأول

ماهيّة الشخصيّة في الدراسات الأدبية وأبعادها

لقد احتلّت الشخصية مكانة كبيرة وبارزة في مختلف الحقول المعرفية، ولعلّ الدراسات التي اشتغلت عليها في النقد الأدبي على وجه الخصوص أبانت عن الدور الهام الذي تلعبه الشخصيّة الإنسانية في الخطابات السردية، باعتبارها دعامة وضلعاً ثابتاً في إنتاج الأحداث وتفاعلها، فهي كائن موهوب بصفات بشرية ترتبط بمجموعة من القيم الاجتماعية المتعلّقة بسلوك الإنسان بشكلٍ عام، والشخصيات يمكن أن تكون مهمّة أو أقلّ أهميّة وفقاً لأهميّة النصّ، فعّالة حين تخضع للتغير ومستقرّة حينما لا يكون هناك تناقض في صفاتها وأفعالها، أو " عميقة معقّدة لها أبعاد عديدة قادرة على القيام بسلوك مفاجئ"[1].

وممّا لاشكّ فيه أنّ الشخصيّة كيانٌ مستقل بذاته، ذلك أنّها " تشبّعت بروح الحياة وتجاهلت الأهداف المباشرة وراء خلقها، وبناؤها يفرضه المنظور المثالي الذي يقوم على الإلهام خاصةً"[2]، وأكثر ما يميّزها اسمها وصفاتها، بحيث لا نستطيع بأيّ شكل من الأشكال تحديد شخصية أيّ عمل سردي دونهما، وفي حالة ما إذا غاب لازمٌ من اللاّزمين لمقصدٍ جمالي عبّر عنه الآخر، " فهي ليست كائنا جاهزاً ولا ذاتاً نفسية، بل هي حسب التحليل البنيوي بمثابة دليل له وجهان، أحدهما دال والآخر مدلول، فتكون الشخصية بمثابة دال عندما تتّخذ عدّة أسماء أو صفات تلخّص هويّتها، أمّا الشخصية

كمدلول فهي مجموع ما يقال عنها بواسطة جُمل متفرّقة في النصّ أو بواسطة تصريحاتها وأقوالها وسلوكها"[3]، وأكثر ما يتّسم به التصوّر الجديد في نقد الشخصية، هو التحوّل من عمقها إلى ظاهرها، بمعنى المهام والأدوار التي تؤدّيها وفق وظائف مختلفة يحدّدها السارد موضوعاً لها.

تتعلّق الشخصية بالبيئة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي يخلقها لها الكاتب، كما أنّها تعبّر عن الحقبة الزمنية التي يحدّدها لها، فهي ترسم في الأذهان الحياة المعيشية والاجتماعية لهذه الشخصية، وهذه الأخيرة وِحدةٌ فاعلة قد تتعدّد وتختلف وظائفها في العمل السردي، وتتميّز الشخصية بثلاثة أبعاد نجملها فيما يلي:

المطلب الأول: أبعاد الشخصيّة في الدراسات الأدبية

أولاً: البعد الجسمي: فيه تحدّد الملامح والصفات الخارجية للشخصية، حيث نجد فيه الجنس بنوعيه الذكر والأنثى، وفي صفات الجسم المختلفة من طول وقصر، بدانة ونحافة، عيوب وشذوذ.

ثانياً: البعد الاجتماعي: فيه تُدرس الشخصية من حيث مكانتها في المجتمع، وبإمكاننا أن نعرف من خلاله كلّ ما يتعلّق بحياة الشخصية، كالمستوى التعليمي وأحوالها المادية وعلاقتها بكلّ ما يحيا بها، وعليه فإنّه "يتجسّد في انتماء الشخصية إلى طبقة اجتماعية، وفي نوع عملها، وكذلك في التعليم وملابسات العصر وصلتها بتكوين الشخصيّة، ثمّ حياة الأسرة في داخلها والحياة الزوجية والمالية"[4]، ومِن هنا نلاحظ الحقول الاجتماعية المختلفة كالفقيرة والمتوسّطة وفاحشة الثراء.

ثالثاً: البعد النفسي: من خلاله نستطيع أن نكشف عن حالة الشخصية السيكولوجية، قد تكون في اضطراب أو قلق أو حزن أو فرح أو غضب أو استقرار أو اندفاع أو خمول، وبالتالي فإنّ البُعد النفسي هو "ثمرة البُعد بين السابقين في الاستعداد والسلوك، الرغبات والآمال، العزيمة والفكر، وكفاءة الشخصية بالنسبة لهدفها، يَتبعُ ذلك المزاج من انفعال وهدوء وانبساط وانطواء"[5].

ولعلّ هذا التعلّق من قبل القارئ بهذه الشخصيات نابع من أنّه يتغلغل في حياة أولئك الشخوص تغلغلاً لا تضاهيه معرفته العادية بالناس الذين يعرفهم، لهذا يلجأ السارد إلى وصف ملامحها، وقامتها، وصوتها، وملابسها، وسنّها، وأهواءها، وهواجسها، وآمالها، وآلامها، فالقصّة تلتزم المنطق القائم على تعليل الأشياء وربط بعضها ببعض، فلا يمكن أن يحدث فيها شيء ما إلاّ ارتبط بعلّة أو بحركة أو بعاطفة أو بهوسٍ أو بمبرّرٍ ما.

أمّا اختلاف هذه الشخصيات فيكمن في اختلاف هذه العِلل، وتختلف الشخصيات داخل العمل الفني في مبادئها وعواطفها وأشكالها وملابسها، يقول الدكتور محمد يوسف نجم: "تُعتبر الشخصية الإنسانية مصدر إمتاع وتشويق في القصّة لعوامل كثيرة، منها أنّ هناك ميلاً طبيعياً عند كلّ إنسان إلى التحليل النفسي ودراسة الشخصية، فكلٌّ منا يميل إلى أن يعرف شيئاً عن عمل العقل الإنساني، وعن الدوافع والأسباب التي تدفعنا إلى أن نتصرّف تصرّفات معيّنة في الحياة، كما أنّ لدينا رغبةً جموحاً تدعونا إلى دراسة الأخلاق الإنسانية، والعوامل التي تؤثر فيها ومظاهر هذا التأثر"[6]. وهذه الشخصيات وما تحملها من آراء ووجهات نظر مختلفة تشكل الجزء الأكبر والأهم في مختلف النصوص السردية، ونتيجة لهذا " يرجع بعض الدارسين روعة هذه النصوص وقوّتها إلى مقدرة مؤلّفها في رسم الشخصيات التي تشذُّ في ملامحها عن الشخصيات الإنسانية المعروفة، إلاّ أنَّها تعكس لنا بعض الخصائص المشتركة في الجنس البشري"[7].

المطلب الثاني: ماهيّة الشخصيّة في القصص القرآني

إذا تحدّثنا عن الشخصيّة في القصص القرآني فالأمر مختلف أيّما اختلاف عمّا هو عليه في النقد الأدبي، باعتبار أنّ القرآن الكريم هو خطاب ربّاني يخاطب العقل ويُقيم الحجّة، فقد استخدم في قصصه أسلوب عرض المشاهد للشخوص وتطوّرها وتغيّرها في مشاهد ودوائر وفقاً لمقتضيات الواقع أو الحالة المعاشة، حيث "يأتي رسم الشخصيّات في القصّة القرآنية كلونٍ من ألوان التصوير"[8]، ما يدلّ على أنّها مطابقة للواقع ومبنيّة على حقائق ثابتة، ولاشكّ أنّ الشخوص التي وردت في القرآن الكريم منها ما هو مثالي وقدوة في جوانب إيجابية من حياة الإنسان، ومنها ما هو سلبي وُضِعَ للعبرةِ والدّرس، "فالقرآن الكريم لا يُقيّم شخصية الإنسان من خلال طبقته أو جنسه أو قوميّته أو بنية جسمه أو لون جلده أو مواقفه من النّاس، فهذه كلّها أحكام تصدر عن أهواء البشر وظنونهم"[9]، وتمثّل ضلالهم بسبب بعدهم عن الله، بل للقرآن الكريم مقاييس أخرى في تقييم شخصيّة الإنسان لها مرجعيّة واحدة وهي موقفه من هدي الله واتّباع سنّة نبيّه عليه الصلاة والسّلام.

والمرأة كشخص من شخوص القصص القرآني تبوّأت مكانة إنسانية تومض بالتفاعل الاجتماعي والانصهار في بوتقة التجارب الإنسانية، فجاءت النماذج النسائية في القرآن الكريم لتصوّر لنا دور المرأة وموقفها من الوجود وصياغة التاريخ البشري على مرّ العصور خلال ومضات سيكولوجية تُبرز الدور الوظيفي لهذا الكائن أو النصف الآخر من الإنسان، وبالتالي " يبرز وجه المرأة في القصص

القرآني كعنصر أصيل من عناصر هذا القصص، حيث تأخذ المرأة مكانها كإنسان وكامرأة معاً .. ولهذا فإنّنا نشهدها في كلّ نشاط إنساني تحتلّه إنسانيّتها وأنوثتها، في مجال الحدث القصصي"[10].

المبحث الثاني

دراسة وصفية تحليلية لشخصيات المرأة في القصص القرآني: (مريم، بلقيس، زليخة)

المطلب الأول: وصف شخصية مريم

قال تعالى: «وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (36)»[11]، فمريم في لغتهم بمعنى العابدة[12]، وهي تلك الشخصية المسلمة المؤمنة العابدة القانتة لربّها، التي جعلت لها محراباً تصلي فيه وتعبد ربها، وتحاول أن تقوم بهذه العبادات لله عز وجل كما أمرها الله سبحانه وتعالى، ولذلك يقول الله: «يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (43)»[13].

ولذلك نشأت هذه البنت التي دعت لها أمها طائعة، يقول تعالى: «إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي ۖ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (35)»[14]، فاستجاب الله دعوة والدتها وتقبّلها قبولاً حسناً، كما يخبر ربنا أنه أنبتها نباتاً حسناً، وهذا مجازٌ عن التربية الحسنة العائدة عليها في جميع أحوالها [15]، أو بمعنى آخر جعلها شكلاً مليحاً ومنظراً بهيجاً ويسّر لها أسباب القبول، يقول تعالى: «فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا (37)»[16].

ولما أحصنت فرجها وابتعدت عن الحرام من ناحية التكشف والتبرج بكافة صوره وأشكاله وهبها الله عيسى عليه السّلام، قال تعالى: «وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ (12)»[17].

ومن خلال سورة مريم عليها السّلام يظهر لنا وصفها جلياً، فها هي ذي في خلوتها مطمئنّة إلى انفرادها، يُسيطر عليها وجدانها، ولكنّها تُفاجأ مفاجأةً عنيفة تنقل تصوّراتها نقلةً بعيدة بسبب ما هي عليه: «فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (17) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا (18)»[18]، إنّها انتفاضة العذراء المذعورة يُفاجئها رجلٌ في خلوتها، فتلجأ إلى استشارة التقوى في نفسه :

ولئن كنّا نحن نعلم أنّه الرّوح الأمين، فإنّها هي لا تعلم إلاّ أنّه رجل، وهنا يتمثّل الخيال تلك الفتاة الطيّبة البريئة، ذات التقاليد العائلية الصالحة التي تربّت تربيةً دينيةً قويمة.

ثمّ ليتمثّل الخيال مرّة أخرى مقدار الفزع والخجل، وهذا الرّجل الغريب الذي لم تثق بعد بأنّه رسول ربّها، فقد تكون حيلة فاتكٍ يستغلّ طيبتها يُصارحها بما يخدش سمع الفتاة الخجول، وهو أنّه يريد أن يهب لها غلاماً، وهما في خلوةٍ وحدهما.

ثمّ تدركها شجاعة الأنثى تُدافع عن عرضها، قال تعالى: «قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (20)»[19]، يُخفّف من روعها بعد أن يقول: «قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (19)»[20]، فقد تكون هذه خدعة، وهنا نستنتج صفة أخرى لمريم عليها السّلام ألا وهي الحياء.

ثمّ يواصل القرآن الكريم تصوير حالة العذراء المسكينة في موقفٍ آخر أصعب من سابقيه، وكما هو معلوم فهذه المرأة ليست متزوجة ـ كما يظهر للناس ـ والناس قد لا يفهمون أنّ هذا خلقٌ خلقه الله في بطنها، بل إنّ الناس سيتبادر إلى أنفسهم ظنّ السوء وسيتّهمونها بالزّنا وفعل الفاحشة، ولذلك فقد فرّت مريم في البداية من الأمر وحاولت أن تتخفّى عن الناس، لأنّها لا تُريد أن تسمع كلامهم.

يقول تعالى: «فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (22) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا (23)»[21].

ولئن كانت في الموقف الأوّل تواجه الحصانة والتربية والأخلاق بينها وبين نفسها، فهي هنا وشيكة أن تواجه المجتمع بالفضيحة، ثمّ هي تواجه آلاماً جسديةً بجانب الآلام النفسية، تواجه الألم الجسمي الحاد الذي لازمها عند جذع النخلة، وهي وحيدة فريدة تعاني حيرة العذراء في أوّل مخاض، ولا علم لها بشيء ولا معين. فإذا هي قالت: «يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا (23)». بنفس متأسفة تستحي وتخشى كلام الناس عليها.

فإنّنا لنكادُ نرى ملامحها، ونحسّ اضطراب خواطرها، ونلمس مواقع الألم فيها، قال تعالى : « فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (24) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (25) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا (26)»[22]، ثمّ تزداد دهشتها أكثر حين تتواصل أحداث القصّة، لكنّ نفسيتها تطمئنّ حين مناداة مولودها لها، بعد كلّ ما واجهته من أهوال.

وتتواصل مشاهد القصّة بأن حملت مريم مولودها وعادت به إلى قومها، فيقابلوها بالسخرية والتهكّم، لكنّها لا تزال مطمئنةً بأن يتكلّم المولود مرّةً أخرى فتحدث المعجزة أمام الملأ فتُبرأ ممّا نُسِبَ إليها، وفي هذا يقول تعالى: «فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ۖ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (27) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (28) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (29) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (31) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (32) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (33)»[23].

المطلب الثاني: شخصية بلقيس

وهي نموذج للشخصيّة المتحولة من الكفر إلى الإيمان، وتتّفق مع فرعون في الملك المتمكّن ومستلزماته من متاع الدنيا، يقول تعالى: «وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (23)»[24]، ولكنّها تختلف عن فرعون بقوّة التميّز التي جعلها الله سبيلاً لمعرفة الخير والشرّ، أو بهداية الفطرة، المثال الأعلى للمعرفة والإحساس والتصرف والاختيار.

ونلاحظ من خلال سورة النّمل أنّ "بلقيس" تميل إلى السّلام ولا تُحبّذ الحروب فهي تكرهها، ذلك أنّها اعتمدت على اللّيونة في ردّها على سيّدنا سليمان عليه السّلام، فبعد أن قرأت كتابه ودعوته لها للإسلام تريّثت ولم تتسرّع، وهذا دليل واضح على رجاحة عقلها وحسن تدبيرها، بل أنّها استشارت وزرائها، قال تعالى: «قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ (32)»[25].

وحين لجأ أهل القوّة إلى التذرّع بعدّتهم وعتادهم: «قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (33)»[26]، رتّبت الجواب "فزيّفت أوّلاً ما ذكروه، وأرتهم خطأهم فيه بقولها (إِنَّ الْمُلُوكَ إِذا دَخَلُوا قَرْيَةً) عنوة أفسدوها وخرّبوها"[27]، فكانت كما يقول الحسن البصري "أحزم رأياً وأعلم بأمر سليمان"[28].

ووصلت بلقيس بما لديها من مفاهيم عن الملوك ورسائلهم أنّ لكتاب سليمان ما يميّزه عن غيره من المراسلات التي عهدتها: «قالَتْ يأيُّها الملَأُ إنِّي أُلْقِيَ إلَيَّ كِتابٌ كَرِيمٌ (29)»[29]، سواء أكان بالطريقة التي ألقى بها الهدهد الكتاب إليها، أم في أسلوبه بلاغة ووجازة وفصاحة.

وتظلّ الأناة والتريّث في تقرير الرأي وإصدار القرار منهجاً عقلياً مفضلاً لدى ملكة سبأ؛ لأنّه الطريق الأنسب في إصابة الغاية دون التردّي في الخطأ ولوازمه من الندم والإفساد، ولذلك كان الانتظار المتدرج نحو القرار في التعامل مع سليمان عليه السلام، فهي تنتظر لترى « بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (35)»[30]، فإذا جاءها رفض سليمان عليه السلام للهدية العظيمة من الجواهر والنفائس بقوله: «أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (36) ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ (37)»[31]، لجأت إلى زيارة سليمان أسلوباً آخر من المفاوضة والمهادنة، واختباراً لمدى نجاح الأسلوب في تحقيق الغاية، ولمّا قدّم إليها سليمان دليل نبوّته بإحضار عرشها وتنكيره، لم تفارقها قوّة التمييز ولم تبرح الذكاء في قولها: «فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ۚ (43)»[32]، وذلك "من رجاحة عقلها، حيث لم تقع في المحتمل"[33]، وهذا دليل على ذكائها وحزمها.

بذلك كان ذكاء "بلقيس" عاملاً مهماً في طريقة تفكيرها، فقد ربطت واقع حالها وحال سليمان بخبراتها التي تكوّنت من مجموع المفاهيم عن الملك والحياة والقهر والسيطرة، ولمّا أمدّها سليمان بمعلومات عن النبوّة وإعجازها بوسائل عدّة، منها المحسوس ومنها المعقول، غيّرت هذه المعلومات الجديدة من طريقة تفكيرها، ذلك أنّها "لما رأت ما آتاه الله وجلالة ما هو فيه وتبصَّرت في أمره، انقادت لأمر الله وعرفت أنّه نبيٌّ كريم، ومِلكٌ عظيم وأسلمت لله عزَّ وجل"[34].

إنَّ بلقيس نموذج للشخصية التي تعتمد العقل قاعدة في التمييز قبولاً ورفضاً، وتدرجاً واختياراً، لذلك كان قول قتادة: "ما كان أعقلها في إسلامها وشركها"[35]، فهي تتّصف بالسموّ في تدبّر الموقف وإدارة الحدث، وتعدّ نموذجاً من النماذج الفريدة في حياة القياديّين الذي يتنازلون عن عروشهم من أجل سعادة البشرية عن طريق رسالة الإيمان، وسعادة سرمدية من خلال سلوك المساواة بين الروح والمادة، فدهاؤها هو "جوهر بناء شخصيّتها الذي ميّزها بالثبات والحزم كما يقول ابن كثير"[36].

المطلب الثالث: شخصية زليخة

إنَّ لشخصية امرأة العزيز في قصّة يوسف عليه السلام دوراً بارزاً ومهماً، فهي بمثابة درسٍ للمتلقي، ونستشفّ من خلال تتبّعنا لوصف شخصية امرأة العزيز أنّها امرأةٌ ذوّاقة للجمال لم تختر فتىً وكفى، بل اختارت أجملهم وهو يوسف عليه السّلام، قال عزّ من قائل: «وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا

عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (23)»[37].

لكن إعراض يوسف زادها فيه وأرادت أن تصل إلى ما تصبوا إليه فابتعدت عن التلويح وفضّلت التصريح فلم تعد تطيق صدّ نزوتها، فهيّأت نفسها ومخدعها لكلّ ما يدعو على إثارة الغريزة عنده ودعته "فلبى سريعاً، استجابة لأمرها وجرياً على عادته في طاعتها، فأسدلت السجف وغلّقت الأبواب، وقالت هَيْتَ لك"[38]، لكنّ يوسف أعرض وهمَّ فارًا من مخدعها استجابة لوحي ربّه، فاتّجه إلى الباب فهمَّت وراءه وأمسكته من قميصه وحاولت إرغامه على فعل الخطيئة، في هذا الحين رآه العزيز واقفاً وقميصه ممزّق فشكَّ في الأمر، ولكنّ امرأته كانت جريئة وقويّة وكاذبة، فاتّهمته وهو الطّاهر العفيف، يقول المولى عزّ وجلّ: «وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (25)»[39]، ومنه تبيَّن لنا جرأة هذه المرأة وكذا بهتانها، ولكنّ الله أظهر الحقّ للجميع ببراءة يوسف ونزاهته، وهذا ما تبيّن في قوله عزّ وجلّ: « وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (27)»[40].

امرأة العزيز في سطوتها وعزّتها وجمالها ودلالها تدعو فتى من فتياتها ـــ بل واحداً من خدّامها ـــ فيصدّها ويأتي ويستكبر وهي السيّدة الآمرة الناهية المطاعة، إنّها "نرجسيّة لا يحتملها كبرياؤها، فهاجت وزاد غضبها فهمَّت به بطشاً، فهي تعيش هنا تقلباً عاطفياً من حبّ الولد إلى حبّ الشغف ثمّ حبّ الانتقام"[41].

وصلت على مسامعها حكايات قرينتها فضلّت مصرّة على ذنبها، دلالة على قوّتها وتصميمها وعدم انكسارها أو إحباطها، فدعتهنَّ وهيّأت لهنَّ كلّ أنواع النعيم، وقدّمت لهنَّ الفاكهة وأتت كلّ واحدةٍ سكينًا، وهذا دليل فطنتها: "وقالت ليوسف: أخرج عليهنَّ، وامشِ بين صفوفهنّ، فخرج من مخدعه وقد صبغ الحياء غلالة وجهه وملأه الحسن، فشاهدن فتى لا كالفتيان، وشابًا لا كالشبّان، فذهلنّ عمّا كنّ فيه، وخولطن في عقولهم، فإذا السكاكين تقع على أيديهن فتقطعها"[42]، فقطعُ الأصابعِ بمثابة تبرأةٍ لنفسها وامتحان لكرامة الفتيات اللاّتي تكلّمن عليها، كما أنَّ الله عزّ وجل يبيّن ضعف المرأة، وبأنَّ النساء ضعيفات حينما يقعن أمام الجمال الباهر كجمال يوسف عليه السّلام، وفي هذا يقول المولى عزّ وجلّ: «فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا

بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (31)»[43]، فهذا العمل هو بمثابة افتخار لها، فقد أحسّت المرأة بنوعٍ من الانتصار والفوز والانتقام في نفس الوقت لما حدث للفتيات.

وفي قوله تعالى: «قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ (32)»[44]، تصريح لها وإقرار بإغرائها له لأنّها تعلم أنّه لا ملامة لها منهنّ، باعتبار أنّ ما أصابها قد أصابهنّ، وبالتالي فإنّ هذا التصريح قد كَشَفَ أمرها، ولكن نكتشف سمة أخرى فيها وهي ثقتها بنفسها وقوّتها وجبروتها، فرغم خطئها إلاّ أنّها تتوّعد يوسف عليه السلام بالسجن إن لم يلبِّ رغبتها، وفي هذا التهديد والوعيد ما فيه من الإشارة والدلالة على يقينها من أنّه لا يُعصى لها أمر، وأنّ سلطانها على زوجها بين أيديها رغم أنّه عزيز مصر.

المبحث الثالث:

البناء النفسي والبناء السوسيولوجي للشخوص المختارة:

المطلب الأول: البناء النفسي (شخصية بلقيس نموذجاً)

إنّ البحث عن الدلالة النفسية للنص القرآني يشمل أمرين؛ التعرّف من خلال النص على ما تمتاز به المرأة من صفات نفسية وسلوكية، والتعرّف على مناسبة الأحكام الواردة في النص القرآني ومدى ملاءمتها لنفسية المرأة وطبيعتها، فليس المقصود هنا هو التحليل النفسي المجرد للمرأة، بل هو الربط بين طبيعة المرأة وأدوارها المختلفة في المجتمع، وبين ما جاء في حقّها من آيات وأحكام، لذلك تحتوي الدراسة على دلالات اجتماعية وتربوية بالإضافة إلى الدلالات النفسيّة.

يقول المولى عزّ وجلّ في محكم تنزيله: «قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (27) اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (28) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (29) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (30) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (31) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ (32) قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (33) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (34) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (35)»[45].

إنّ المتأمل لهته الآيات يشهد الحالة النفسية لتلك الملكة، فالصورة التي يرسمها القرآن لهذه المرأة آية في الروعة والجمال، فهي امرأة غاية في الذكاء والدّهاء، وهذا واضح من خلال الحديث الذي دار

بينها وبين الملأ من قومه، فبعد أن عرضت عليهم الأمر، طلبت منهم الرأي والمشورة بأدبٍ ولطفٍ، مكرّرة: «يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي»، والمراد بالفتوى هنا الإشارة عليهم بما عندهم فيما حدث لها من الرأي والتطبيق، وقصدت بالانقطاع إليهم والرجوع إلى استشارتهم واستطلاع آرائهم من خلال استعطافهم وتطييب نفوسهم ليُمالئوها ويقوموا معها، وأكّدت ذلك بقولها: «ما كنت قاطعةً أمراً حتّى تشهدون»، ونسَبَت الأمر إليها فقالت : «أَفْتُونِي فِي أَمْرِي» ولم تقل أمرِنا، ممّا يُؤكّد حرصها وذكاءها، وكأنّها تنبّههم إلى أنّه أمر شخصي بالنسبة لها، وهي صاحبة القرار الأخير فيه، ولكنّها ترغب برأيهم ومشورتهم، وفي هذا ما يُظهر احترامها لهم، "وكأنّها تقول: أشيروا عليّ أيّها القوم، فأنا لن أتّخذ قراراً دون الرجوع إليكم، وقولها : «حَتَّى تَشْهَدُونِ» غاية القطع"[46].

لاشكّ أنّ شخصية الملكة برزت في اللّحظة الأولى لتسلّم الكتاب، فقد أخذ الكتاب بمجامع قلبها وقهرها من حيث لا تعلم، وهذا واضح من خلال ما ظهر في منطوق كلامها لقومها، حيث نقلت الأثر إلى نفوس الملأ من قومها وهي تصف الكتاب، وواضح أنّها "لا تريد المقاومة ولا الخصومة، على الرّغم أنّها لم تصرّح بذلك لكنّها مهّدت له بما وصفت"[47]، وهنا تبرز شخصية "المرأة " من خلف شخصية الملكة التي تُفضّل اللّين على الخشونة، والتي تتهيّأ في نفسها لمواجهة سليمان ــ عليه السّلام ــ بغير عِداءٍ ولا خِصام، يقول المولى عزّ وجلّ: «قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (34)»[48].

إذن بعد أن بيّنت ضعف رأيهم، عليهم أن يسمعوا رأيها، الذي كان إرسال هديّة إلى سُليمان ــ عليه السّلام ــ فإن قبلها فهو من ملوك الدّنيا، تضمن مصالحته وإن حاربها فليس بندٍّ لها، أمّا إن رفضها فإنّه ملكٌ لا قدرة لها على حربه، ونستشفّ من الآية الكريمة " وإنّي مرسلة بهديّة " عدم رغبتها في الحرب، "فإرسال الهدايا ينشر المحبّة والأُلفة، كما أنّها لم تطلب من قومها الاستعداد للحرب سواءً أقبِلَ الهديّة أم لا"[49]، بل اكتفت قائلة لهُم: « فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (35)».

وتبرز شخصيّتها أيضاً حين يطلب سيّدنا سليمان ــ عليه السّلام ــ إحضار عرشه قبل أن تجيء، وأن يُمهّد لها الصرح من قوارير، "وما كان هذا إلاّ لكونه يعلم بفطرته أنّ المرأة تُبهرها القوّة الخارقة"[50]، قال تعالى: «قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (38) قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (39) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي

لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (40) قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (41) فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (42) وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ (43) قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (44)»[51]، وتصل المرأة إلى سليمان ـ عليه السّلام ـ فتدخل عليه وترى عرشها عنده مع بعض التغيير فيه، ويسألها قائلاً : "أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ "، فأجابت: " كَأَنَّهُ هُوَ ۚ "أي يُشبهه ويقارنه، ثمّ طلب إليها أن تدخل الصّرح (القصر)، فلمّا رأت روعة بنائه (كونه من الزّجاج) ظنّت مدخله ماءاً كثيراً " وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا "، فعند ذاك قال لها سليمان عليه السّلام : " إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ "، أي ملمسٌ من زجاج، "وقد أراها عظمة سلطانه وتمكّنه"[52]، فهالها ما رأت، فأيقنت أنّ سليمان ـ عليه السّلام ـ نبيٌّ مرسل، واعترفت بظُلمها، فلم تُعاند ولم تتكبّر، أذعنت واستسلمت لله الواحد القهّار.

وهكذا كانت الملكة امرأةً كاملةً تتّقي الحرب وتلجأ للملاطفة والحيلة بدل المعاندة والمخاشنة، وهذا يدلّ على قصور العقل البشري وضعفه مهما بلَغ به الذكاء والفطنة، لذلك "كانت تعبد وقومَها الشمس من دون الله، لكنّها لما رأت الحقائق الباهرة والمعجزات العظيمة استسلمت في اطمئنان"[53].

المطلب الثاني: البناء السوسيولوجي (شخصية مريم نموذجاً)

يقول المولى عزّ وجلّ: «وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (16) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (17) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (18) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (19) قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (20) قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا (21) فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (22) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا (23) فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (24) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (25) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا (26) فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ۖ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (27) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا

كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (28) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (29) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30)»[54].

أولا. احتجابها عن النّاس: فيه ظاهرة اجتماعية في ذلك العصر، ألا وهي اتّخاذ خلوات للتعبّد والابتعاد عن النّاس، وفي الخلوة يُحرَّم كلام البشر على المختلي، واحتجاب مريم عليها السّلام يوحي أنّ هذه الظاهرة كانت ممّا يفعله الرّجال والنساء، لأنّ في قصة سيّدنا زكريا عليه السلام مثل لذلك، وهذا يوحي بطابع التديّن الذي ساد ذاك العصر.

ثانيا. خوفها من المَلَك والاستعاذة بالله منه إن كان صالحاً: يشير إلى أنَّ فصلاً كبيراً كان بين الرّجال والنساء، وأنّ ظاهرة الزّنا كانت ممّا لا يُتسامح فيه، بخلافِ ذلك في المجتمع اليوناني والرّوماني في تلك العصور.

ثالثا. تقبّلها للملك ولرسالة السّماء: يشير إلى أنّها كانت تحيا في عصرٍ لم يخل من الأنبياء، وأنّ النبوءة كانت متفشّية بين اليهود مألوفة ومعروفة، ولذلك ميّزت رسالة السّماء من غيرها، فهي تحيا في مجتمع ديني يُولي كلّ اهتمامه لهذا الجانب.

رابعا. إنتباذها بحملها : جانب قصصي يؤشّر إلى أنّ مجتمعها كان يُنكر الحمل من غير زواج ويُعاقب عليه، إذ رغم معرفتها ويقينها بأنَّ ذلك بأمر الله وإرادته، إلاّ أنّ سلطة المجتمع وتبعية الفرد للمجتمع كان من السلطان، حيث جعلها تخاف وتهرب، وتتمنى أنّها لو لم تولد قطّ.

خامسا. إطعامها التّمر: يؤشّر إلى أنّه كان من المطعومات التي تزرع في الشام، وأنّ الجوّ كان ملائماً في ذلك الزمن لنموّ التمر، أمّا الآن فالتمر لا يصلح إلاّ في جنوب الشام، "قالوا التّمر للنفساء عادة من ذلك الوقت"[55].

سادسا. قوله تعالى: «**إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا (26)**»[56]: يؤشّر على أنّ بعض أنواع الصّيام كان الامتناع عن كلام البشر وكان فعلاً تعبّدياً، كما تكرّر ذلك في قصة زكريا عليه السّلام.

سابعا. استعظام قومها لولادتها: يؤشّر إلى أنّ بنية المجتمع الدينية التي لا تستبيح الزّنا وتستعظمه، وتراه ممّا يفسد السُّمعة.

المطلب الثالث: أنماط شخصيّة المرأة في القرآن الكريم (محاولة التمييز بين أنواع الشخوص المختارة)

تنوّعت وتعدّدت أنماط شخصية المرأة في القرآن الكريم، فقد ذكرت الآيات الكريمة المرأة كشخصية رئيسة أو بطلة لبعض القصص، كقصة ملكة سبأ، وقصّة امرأة العزيز، وقصة السيدة مريم عليها السلام، وفي قصص أخرى من القرآن الكريم ذكرت المرأة كنموذج مهم يُنظر إليه ويعتبر منه، مثل نموذج المرأة المؤمنة تحت سلطة الرجل الكافر كامرأة فرعون، والمرأة الكافرة في عصمة الرجل المؤمن كامرأتي نوح ولوط – عليهما الصلاة والسلام، والمرأة المؤيدة لطغيان زوجها وكفره كزوجة أبي لهب.

يُمكننا تصنيف أنماط شخصية المرأة في القصص القرآني من خلال تعدّد ألفاظها، فنجدُ مثلاً لفظ "الأنثى" في قوله تعالى: «فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ۖ »[57]، ونجد لفظ "النّساء" و"النّسوة" في قوله تعالى: «وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ»[58]، وقوله أيضاً: «وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ»[59]، كما يحضر لفظ " امرأة " في قوله عزّ وجلّ: «وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ»[60]، وقد حاولنا التمييز بين بعض أنواع الشخصيات النسائية المذكورة في القرآن الكريم، والتي سبق لنا وصفها :

أولا. شخصية مريم عليها السّلام (العابدة القانتة) :

إنّ شخصية مريم عليها السّلام من أبرز الشخصيات النسائية التي ذُكرت في القرآن الكريم، وهذا ما يُفسّر نزول سورة كاملةٍ باسمها، حيث أفردها الله تعالى بالاصطفاء والنّذر، فهي من بين النّساء اللّواتي أوحى الله إليهنَّ إلى جانب أمّ موسى، قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ»[61]، كما أنّها خيرُ النّساء وأقربهنّ إلى الله، فقد روى الإمام أحمد والبخاري ومسلم والترميذي والنّسائي من طرقٍ عديدةٍ، عن هشام بن عروة عن أبيه، عن عبد الله بن جعفر، عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "خيرُ نسائها مريم بنت عِمرانَ، وخيرُ نسائها خديجةُ بنتُ خُوَيلدٍ"[62].

تعدُّ شخصية مريم عليها السّلام من أعجب وأغرب الشخصيات النسائية خاصةً، كونها أنجبت طفلاً من غيرِ أب، وهذا لم يحدث لغيرها، فهي معجزة خارقة أكرم الله بها دون سائر النّساء، إضافةً إلى أنّها تميّزت بطُهرها وعفّتها وقنوتها لله عزّ وجلّ، فلا مجال للمقارنة بينها وبين باقي الشخصيات النسائية، لأنّها شخصية اختارها الله وفضّلها على جميع نساء العالمين، يقول تعالى: «وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ»[63].

أيضاً من الصفات التي تميزت بها شخصية مريم في القصص القرآني أن رَزَقها الله عزّ وجلّ من الخيرات ما لم يتوقعه أحد، قال تعالى: «كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ»[64]، أي أنّ نبيّ الله زكريا عليه السلام كلّما دخل عليها موضع عبادتها يجد عندها رزقاً غريباً في غير أوانه، "فكان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهةَ الشتاءَ في الصيفِ"[65].

كذلك نذكر أنّ مريم عليها السّلام لها مقاماً سامياً وسط قومها من بني إسرائيل، وما يدلّ على هذا اختصامهم فيمن يقوم بكفالتها، فكلّ فردٍ منهم يودُّ كفالتها، وموضع الاستشهاد في قوله تعالى: «وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (44)»[66].

ثانيا. شخصية بلقيس (الملكة الحكيمة) :

أمّا شخصية "بلقيس" فهي صنف آخر من الشخصيات، هي ملكة ذات عرش عظيم، ذات دولة ووزراء وجيوش وأساطيل، وهي إلى جانب هذا فقد أوتيت حكمةً وعلماً وحنكة فاختبرت أمر دعوة سيدنا سليمان بالهدايا، ولمّا أدركت أنه ليس ممّن يريدون الدنيا ولا زينتها أذعنت واستجابت لدعوته بسرعة، كما تنمّ شخصيتها أنّها ممّن يميلون إلى إتباع الحقّ والطريق القويم، وهي متأنية ثابتة تستشير أعيان قومها قبل اتّخاذ القرار، وتتّسم باستخدام عقلها بالروية الثاقبة وحسن التصرّف.

وتبدو شخصية بلقيس ممّن يحبون النّجاة، ذلك أنّها اعترفت بذنبها بعد أن ظلمت نفسها، كما تبدو سمة الملكة الأريبة، فواضح منذ اللحظة الأولى "أنّها أُخِذت بهذا الكتاب الذي أُلقيَ إليها من حيث لا تعلم، وواضح أنّها لا تريد المقاومة والخصومة"[67]، ونلمس من خلال ما سبق ذكائها واتّصافها باللّين والهشاشة.

وقد وصلت "بلقيس" بأسلوبها الحكيم وسلوكها العادل إلى درجة الإيمان التي تُكمِّل شخصيّتها لتكون أكثر فاعليّة في هذا الوجود، لأنّ الإنسان مهما نهل من الماديّات يظلّ محتاجاً للتغذية الروحية كي تكتمل ذاته، ولعلّ هذه التغذية هي أهمّ مقوّم كانت تفتقده حضارتها للاستمرار والبقاء، " فقد كانت عبادتها للشمس ممّا صدّها عن حصول العلم النافع، إذ إنّها بذلك الاعتقاد الباطل منصرفة عن الرّشد الفكري"[68]، ولما استشعرت انهيار حضارتها بسبب افتقادها للجانب العقائدي القويم، سارعت إلى تقديم الولاء لسليمان عليه السلام معلنةً إسلامها، لتحفظ بذلك

مملكتها التي أوشكت من السقوط، "وسواءً ثبت لديها أنّه مُلك دنيا أم مُلك مبادئ، فإنّها بهذا الاختيار تكون قد أنقذت مُلكها من الدمار والخراب، لأنّه إن يكُ ملك دنيا صانعته، وإن يكُ ملك رسالة ومبادئ بايعته"[69].

رابعا. زليخة (نموذج لطغيان العاطفة والعناد):

كما عُرِض لشخصية امرأة العزيز في القصص القرآني أنّها المرأة العاشقة المنتقمة لكبريائها؛ فقد أعجبت بيوسف عليه السلام حتى فُتنت به؛ فطغت عاطفتها على عقلِها، واستبدَّ بها الغرام فراودته عن نفسه؛ فأبى واعتصم، فتكيدُ له وتتّهمه باطلاً أمام زوجه، ولكنّها عاشقة تخشى عليه أن يقتل فتشير لزوجها بأن يعاقبه، كما أنّها كانت جريئة وقوية وكاذبة وعزتها وجمالها كشف أمرها، ولكن نكتشف سمة أخرى فيها وهي ثقتها بنفسها وقوّتها وجبروتها، رغم خطئها إلاّ أنّها تتوعّد يوسف بالسجن إن لم يلب رغبتها ونزوتها العاطفية والجنسية على حد سواء.

من خلال ما سبق نلحظ أنّ شخصية امرأة العزيز شخصية قوية ذات عزّة وأنفة، فبالرغم من حبّها لغلام يعمل في قصرها وذيوع خبرها في القصر إلاّ أنّها بقيت مصمّمة وعنيدة، إذ أرادت شيئاً وحاولت الوصول إليه بكلّ ما أوتيت من قوّة وجبروت، ولكنّها في الأخير وبمشيئة من الله وحده كسرت شوكتها وأحسّت بذنبها فتلمس فيها الرقّة واللّين من خلال اعترافها أمام الملأ بأنّها هي التي عرضت نفسها على يوسف الصديق، فالله عزّ وجل يبيّن هنا بأنّ الإنسان ضعيف والمرأة أضعف فهو يبين شخصية المرأة كما يجب أن تكون الضعيفة ذات المشاعر الحسّاسة، الإيجابية، العاطفية والهادئة.

خامسا. محاولة للمقارنة بين الشخوص المذكورة من خلال ذكر أوجه الاختلاف:

نلمس في شخصية "مريم" عليها السلام حياءً وعفّة لا نجدهما في شخصية زليخة، فهي مندفعة هائجة لا تحفل ثباتاً وحياءً، هذا الحُكم يعود بالأساس لاختلاف المجتمعين اللذين عاشت فيهما كلّ امرأة وطبيعة عمل كلٍّ منهما، فمريم امرأة ناسكة متعبدة، أمّا "زليخة" فزوجة وزير مصر آنذاك، ومريم عاشت في مجتمع يهودي يعاقب على ارتكاب الفاحشة والجريمة عكس مجتمع زليخة المصري في ذلك الوقت، مجتمع ضائع تسوده الفضائح والخروقات.

وفي شخصية الملكة "بلقيس" نلمس رجاحة العقل وتغليباً له على العواطف والانفعالات، وتريّثاً في اتّخاذ القرارات وحُسن التصرّف، ونجد عكس هذه السمات تماماً في شخصية زليخة، حيث

أنها تتّصف بطغيان العاطفة على العقل، زد على ذلك العناد وحب الانتقام، كما نلمس عداءً جلياً في شخصية زليخة لا نجده في شخصية بلقيس.

أمّا الاختلاف الذي يظهر لنا بين شخصيتي "مريم" و"بلقيس" هو مكانة كلّ منهما في مجتمعه، فمريم عليها السّلام خادمة متعبّدة في الكنيسة، ولم يُذكر قطّ في القرآن الكريم هذا النوع من النماذج إلاّ شخصية مريم، أمّا بلقيس فهي تتربّع أرقى المنازل والمراتب، هي الآمرة النّاهية الحاكمة، المديرة لشؤون قومها، وهي المرأة الوحيدة التي شغلت هذا المنصب في القرآن الكريم.

المطلب الرابع: الأبعاد الدلالية والجمالية للشخوص المختارة (مريم، بلقيس، زليخة) :

أوّلاً : الأبعاد الدلالية :

أ) – شخصية مريم عليها السّلام :

في قوله تعالى: «إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي ۖ إِنَّكَ أَنْتَ السَمِيعُ العَلِيمُ (35)»[70]، دليل على أنّها لا تبغي الخَلَفَ إلاّ لإشباع رغبتها واستقرار نفسيتها، فهي لا تريده ليكون عائلاً لها، أو عَضُداً تشدُّ به أزرها، بل ترجوه وتأمله حتّى إذا تحقّق الرّجاء، واستجيب الدّعاء، وَهَبَتهُ لله وحرّرته لخدمة بيته، و"يكفيها أنّها ولدت ليطمئنّ قلبها، ويشيع السّرور في فؤادها"[71]، ودليل على أنّ الحرية لا تكون إلاّ لمن أخلص لله تعالى، فما يتحرّر إلاّ من كان يخلص لله كلّه، ويفرّ إلى الله بجملته وينجو من العبودية لكلّ أحد ولكلّ شيء ولكلّ قيمة، فلا تكون عبوديته إلاّ لله وحده، "فهذا هو التحرّر إذن، وما عداه عبودية وإن تراءت في صورة الحرية"[72].

وفي قوله تعالى: «فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (36)»[73]، إيحاء جليّ بأنّ أمّ مريم عليها السّلام كانت تتمنّى أن يكون ما في بطنها ذكر، لأنّ الذّكر أفضل من الأنثى وأقدر عليها في خدمة الكنيسة، لكن في قوله تعالى: «وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ»، دلالة على تفاؤلها وتقرّبها بهته التسمية إلى الله تعالى، ورجاؤها بأن يكون فعلها كاسمها، فمعنى اسم مريم عندهم هو العابدة، كما نلمس دلالة أخرى وهي الخضوع والتسليم لأمر الله عز وجل فلم تعترض على المولود لأنها أنثى.

وفي قوله تعالى: « وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا»[74]، إشارة إلى أنّها كانت يتيمة، وأنّ الله عزّ وجلّ أراد أن يكون زكريا ــ دون غيره ــ كافلاً لها، باعتباره نبيّاً ورجلاً من أصلح بني إسرائيل آنذاك، أمّا في قوله عزّ وجلّ: «وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ

(44)»[75]، إشارة على أنّ اختصامهم هذا دليل على شدّة رغبتهم في التكفّل بها، كما أنه دليل على أنّ الله عز وجلّ استجاب دعاء والدتها، حيث قالت: «فَتَقَبَّلْ مِنِّي»[76].

وفي قوله تعالى: «فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ »[77]، دليل على حسن توكّلها على الله وثقتها المطلقة به، والتي لم تتزعزع حتى في أصعب الظروف، وهذا ما نجد عليه الأنبياء والرسل والصالحين من البشر، وحينما ننتقل إلى قوله عزّ وجلّ: «وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (25)»[78]، تتبيّن لنا مظاهر القدرة الربّانية التي تجلّت في عباده الصالحين، وحكمة حياتية تستوجب على الإنسان أن يتّخذ الأسباب ليصل إلى مراده حتى في وقت الضيق، وهذا ما نستنتجه من خلال الآية الكريمة، فكيف يمكن لامرأة وضعت لتوها أن تهزّ نخلة ليتساقط تمرها وقد يعجز عن ذلك الرجال الأشداء.

أمّا في قولها: «قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ»[79]، دلالة على قوة ارتباطها بالله عزّ وجل وتواضعها، وهي كلمة تصوّر حال المؤمن مع ربّه، واحتفاظه بالسرّ بينه وبين ربّه والتواضع في الحديث عن هذا السرّ لا التنفُّج به والمباهاة، كما "أنّ ذكر هذه الظاهرة غير المألوفة التي تثير عجب نبي الله زكريا هي تمهيد للعجائب التي تليها"[80].

ب) – شخصية بلقيس :

قال تعالى على لسان الهُدهد: «إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ»[81]، هو قول يذكّرنا بما كان عليه ملوك سبأ في بلاد اليمن من المملكة العظيمة والتّبابعة المتَوَّجين، "وكان الملك قد آل في ذلك الزمان إلى امرأة منهم ابنة مَلكهم، لم يَخلِف غيرها، فملّكوها عليهم"[82]، وفي هذا دلالة على أنّ حكم المرأة لم يكُن معهوداً، كما أنّه لا يوافق السنّة التي ألِفها النّاس وجُبِلُوا عليها، فمن العادة أن يتولّى الرّجل زمام السلطة منذ أن خلَّفَ الله الإنسان في الأرض.

أمّا في قوله تعالى على لسان بلقيس: «قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ (32)»[83]، دلالة من دلالات القائد الناجح الذي يعرف كيف يدير شؤون حاشيته، فهي لم تأمرهم بل استشارتهم لتتقرّب منهم أكثر ولتوحّدهم على أمرٍ واحد فلا يحدث شِقاقٌ بينهم، فقد كان لتعقّلها وتربّيتها بعد توفيق الله تعالى الدور الأبرز في هدايتها إلى الطريق الحقّ، فهي تقول لقومها " ما كنت لأبُتَّ أمراً إلاَّ وأنتم حاضرون"[84].

وفي قوله تعالى في جوابها على سؤال سليمان عليه السّلام: «فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ۚ »[85]، تلك دلالة أخرى على حكمتها وحِنكتها وحُسن تدبيرها ودقّة تفكيرها،

فهي لم تُقرّ بأنّه عرشها ولم تنف ذلك، فأجابت إجابةً وسطاً، "وهذا من فطنتها وغزارة فهمها، لأنّها استبعدت أن يكون ذلك عرشها، لأنّها خلفته وراءها بأرض اليمن، ولم تكن تعلم أنَّ أحداً يقدر على هذا الصنع العجيب الغريب"[86].

ج) – شخصية زليخة :

قال تعالى: «وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (23)»[87]، في هذا دليل على أنّ الابتعاد عن طريق الله عزّ وجلّ يجعل الإنسان عبداً لشهواته غيرَ قادرٍ على كبح نفسه من المعاصي، وذلك ما ينطبق على شخصية زليخة، كما أنّ في الآية الكريمة إشارة إلى أنّ بعض البيوت الكبيرة آنذاك كانت مبنية على الخيانة الزوجية.

وفي قوله تعالى: «الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (51)» [88]، دليل على أنّ الكذب مآلُهُ الاندثار حتّى وإن بلغت مكانة الكاذب من السّلطان والجبروت ما بلغته امرأة العزيز، وأنَّ الصّدق منجاةٌ في الدنيا والآخرة، فلفظة " حصْحَصَ بمعنى : ظَهر بعد خفاءٍ"[89].

أمّا إذا قرأنا قوله تعالى: «وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (26)»[90]، ففيهِ دليل على تقديم الفرض الأوّل، لأنّه إن صحَّ يقتضي صدقها وكَذِبهُ، فهي السيّدة وهذا فتىً، فمن باب اللّباقة أن يُذكر الفرض الأوّل، وتبيّن له حسب الشهادة المبنيّة على منطق الواقع أنّها هي التي راودت، وهي التي دبّرت الاتّهام، وهنا تبدو لنا صورة من الطبقة الرّاقية قبل آلاف السّنين، وكأنّها هي اليوم شاخصة، فيها " رخاوة في مواجهة الفضائح الجنسية، وميلٌ إلى كتمانها عن المجتمع"[91].

ثانياً : الأبعاد الجمالية :

أ ــ شخصية مريم :

إنَّ أسلوب التصوير يجعل من القصص القرآني أداة فعالة ومؤثرة في جماهير المتلقين للعمل الفني، كما ينشئ علاقة إيجابية بين محور العمل وعناصره وأحداثه وبين السامع أو القارئ لما يتضمنه التصوير الجمالي من حركة متدفقة تبعث الحياة فيما يسمع أو يُقرأ من القصّة، والتصوير الجمالي الحي يشيع جوّاً من الحياة في ثنايا القصة، بحيث تنطلق الأخيلة وتتتابع الصور على الأذهان، كما نلمس بعداً جمالياً في تعدّد عنصر المفاجأة في قصة (مريم) عليها السلام بدءاً بمفاجأة نوع المولود الذي

نذرته أمه ليكون خادماً في بيت المقدس فالمولود الذكر المنتظر جاء أنثى، حيث لا يصلح لأن يكون خادماً في بيت المقدس، وهنا يتحقّق النذر، يقول تعالى: «إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (35) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (36) فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا (37)» [92].

ثمّ المفاجأة الثانية بنزول الطعام من السماء على مريم أثناء تعبّدها، ممّا أثار عدداً من الأسئلة في ذهن نبي الله زكريا (كفيلها) عليه السلام «كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (37)»[93]، ثم حملها من غير زوج، وولادة الطفل من غير أب، قال تعالى : « قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (20)»[94].

ب _ شخصية بلقيس :

نجد أسلوب التصوير وارداً كذلك في قصة سليمان عليه السّلام مع شخص بلقيس، وهو من أبرز الأساليب التي تستثمرها قصص القرآن الكريم في تقديم مشاهد معبرة عن المواقف والأحداث والشخصيات والأماكن أبرع ما يكون التعبير، وهو سمة فنية من سمات قصص القرآن الذي يتخذ من ألوان التصوير ما يتناسب مع موضوع القصة وغاياتها؛ لذا نجد تنوعاً في ألوان التصوير في قصص القرآن الكريم، فهناك تصوير بالحركة واللون والوصف والحوار والجرس وغيرها من ألوان التصوير الحافلة بها تلك القصص، التي تعمل على تقديم مشاهد مختلفة تنبض بالحيوية والحركة، في صورة حسية ماثلة أمام المتلقين، فيبدو المشهد حاضراً في اللحظة نفسها، وتبدو الشخصية القصصية نابضة بالحركة والحيوية، وهذا ما نجده حاضراً في قصة بلقيس مع سيّدنا سليمان عليه السّلام.

قال تعالى: «قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (41) فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (42) وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ (43)»[95]، هنا يبدو الصّدق القرآني المطلق والعرض الفنيّ المعجز، فالقرآن لم يقُل أنّها حين رأت آمنت من فورها، فالنّفس الإنسانية تترك دينها عند الوهلة الأولى، وإلاّ فهي ليست نفساً إنسانية، أو هي لم تكن مقتنعةً بما كانت تُؤمن به،

ولو لم تكن مقتنعةً لتركت هذا الذي تعتبره دون حاجةٍ إلى الصورة أو الحدث، "فلابدّ للنفس التي كانت مؤمنةً بشيء أن تتروّى وتُمعن النّظر حتّى تطمئنّ لهذا الدّين الجديد الذي تنوي أن تعتنقه"[96].

ج ـ شخصية زليخة :

يقول الله تعالى عن مراودة امرأة العزيز ليوسف: «وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (25)»[97]، في هذه الآية قاعدة قصصية يقدّمها القرآن في روعةٍ فنيّة أخّاذةٍ (وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ)، إنّك إذا قرأتَ هذه الجملة دون أن تكون عارفاً بقيّة القصّة لَمَا ألقيتَ إليها أدنى اهتمام، إنّها كلمة أُلقيت وكأنّها أُلقِيت عن غير عمد، هذا هو التمهيد الفنيّ للحدث في أروع صُوره، ثمّ أَرَأيتَ إلى المفاجأة الواقفة عند الباب، زوجةٌ تُراود رجلاً عن نفسه، ثمّ تُفاجأ بزوجها عند باب الغرفة المغلقة، إنّها مفاجأة آخذة لا تكاد تفيق منها حتّى تشدَّك مفاجأة أخرى أقسى وأنكى (مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)، إذن فقد ألقت التهمة جميعها على يوسف في سرعةٍ خاطفةٍ، " فلم يقُل القرآن فكَّرت ماذا تفعل، أو حاولت في أمرها وأمر ذلك الرّجلِ معها، لم يقُل شيئاً عن هذا، وإنّما صكَّ النفوس بالتهمة في مفاجأة فنيّة مذهلة"[98].

وفي موضع آخر يقول تعالى: «فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (31)»[99]، إنّها صورة مرئية متحرّكة أخّاذة تحمل الدليل الذي لا يستطيع أيّ كلامٍ أن يصفه، لقد ذهلت النسوة عن أنفسهنّ فأعملنَ السّكاكين في تقطيع أيديهنّ بدلاً من تقطيع الفاكهة، إنّ الآية لم تصف الجمال لأنّه فوق الوصف وفوق الكلام، ولكنّها "جعلتنا نحسّ أثره النفسي في قلوب النسوة، ونرى أثره المادي في أيديهنّ، ونسمع دليل براءة يوسف حينَ شهِدنَ لهُ بطهارة الملائكة"[100].

خاتمة:

في ختام هذه الورقة البحثية نتّفق جميعاً أنّ السرد القرآني فيه من الإمتاع والإقناع ما يحقّق فُرَادَتهُ الأدبية وجماليّته التصويرية، فمهما نهلنا من مورده وحاولنا الغوص في أسباره فلن نظفر من المقاصد الربّانية التي أودعها الله عزّ وجلّ في كتابه العزيز إلاّ القليل، والحاصل أنّ المتدبّر للنصّ القرآني

يجد فيه من اللّطائف ما لا ينفد من المعاني والأهداف الدّينية والتربويّة، فهو نموذج فريد من نوعه يرقى إلى سماء البلاغة، وأداة مُثلى للتربية وتوجيه الفرد والمجتمع إلى الصلاح.

لقد رسم القرآن الكريم صورة مفصّلة دقيقة عن شخصية المرأة وأبرَزَ أبعادها المختلفة، ولعلّ هذه الدراسة أضاءت شيئاً من ملامح تلك الصورة، حيث تجري في قَصَصه الأحداث بفيضٍ من الصور الحيّة، تتمثل الشخصيات أمامنا كاملة الملامح والسّمات، كيف لا وهو كتاب الله المنزّل المحفوظ من كلّ تحريف أو تزوير، ولاشكّ أنّ القرآن الكريم قد أنصف المرأة وأعطاها حقّها، وجعل لها فضاءً فسيحًا يتطابق ومكانتها في المجتمع، حيث تعدّدت وتنوّعت أنماطها بتنوّع السياق الذي وردت فيه، وقد أبانت دراستنا هذه عن ثلاث أنماط تختلف كلّ واحدة فيها علن الأخرى، فنجد نمط شخصية المرأة العابدة القانتة ممثلاً في نموذج مريم عليها السلام، وشخصية المرأة الملكة الحكيمة الذي تمثّله بلقيس ملكة سبأ، ومثالٌ عن شخصية المرأة العنيدة المحبّة للانتقام في شخصية امرأة العزيز زليخة، ومن جملة ما استخلصناه من نتائج في هذا البحث:

– أنّ للقصص القرآني أهداف وغايات، تعمل كلّها لتحقيق غرض أسمى ألاَ وهو الهدف الدّيني والرّوحاني.

– القصص القرآني لم يقدّم صورة خيالية للمرأة مثل ما هو موجود في الأجناس الأدبية، بل جعلها مُلامسة للواقع في هيئة ملازمة للنفس البشرية بخيرها وشرّها، كما غاب عن صورة المرأة في القصص القرآني الجانب الجسدي، الذي مثّل نظرة الشعراء والأدباء إلى شخصية المرأة، والتي كانت في أغلبها نظرة حسيّة مادية، فعدم تحديد صورة المرأة بصفاتها الجسدية في القرآن الكريم فيه إعلاء لمكانتها، وكأنّ رسالة الإنسان في الكون لا تتوقّف على وجوده الجسدي، بل على وجوده النفسي وما يُكرّسه من صفات ترتقي بالإنسان عموماً.

– تفرّد القرآن الكريم ببناء شخصية المرأة تفرداً معجزاً من الناحية النفسية والناحية السوسيولوجية، حيث تتفاعل الشخصية في القصص القرآني مع الأحداث والحوار، فتجعل القارئ يعيش المشاهد بوجدانه.

– شخصيّة المرأة في القرآن الكريم تتماشى والشرائع التي جاء بها الإسلام، والتي تقوم على الالتزام باتّباع أوامره والابتعاد عن نواهيه.

– يشتمل خطاب المرأة في القرآن الكريم على تصوير الانفعالات والعواطف المختلفة للشخصية، وذلك من خلال سلوكها وتصرّفاتها ومواجهتها للأحداث، وهذا ما رأيناه في امرأة العزيز التي جسّد السياق القرآني سلوكها وانفعالاتها المختلفة، حيث نقلها لنا في مشهد تصويري جعلنا نعيش مع شخصيّاتها ونرى هيئاتهم وتحرّكاتهم، ونسمع أصواتهم كما لو كنّا بعضاً منهم.

– يحرص القرآن الكريم أن تكون شخصية المرأة متوازنة، ولهذا نجد القصص القرآني قد احتوى نماذج فاضلة لأساليب تعامل المرأة مع نفسها ومع غيرها ممّن لهم الحقّ عليها، ففيه توجيه لعلاقة المرأة بربّها، وفيه توجيه لعلاقة المرأة بنفسها، وفيه توجيه لعلاقتها بزوجها.. الخ.

– القرآن الكريم لم يركّز على نواحي الضعف في المرأة فحسب، بل اهتمّ بإظهار نواحي القوّة في شخصيّتها، وهذا أعظم دليل على واقعيّته.

وأخيراً البحث في القرآن الكريم هو بمثابة البحث في بحر زاخر بالثروات، كلّما غُصتَ في أعماقه أكثر اكتشفتَ الكثير وحصلتَ على الغالي والثمين.

الهوامش:

[1] – جيرارد برنس، المصطلح السردي (معجم مصطلحات) تر: عابد خزندا، مراجعة وتقديم : محمد بريري، طبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 2003 م، ص 42.

[2] – منقول بتصرّف: حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (فضاء – زمن – شخصية)، المركز الثقافي العربي، ط : 01، 1991 م، ص 211.

3 – منقول بتصرف: أحمد التجاني سي كبير، شعرية الخطاب السردي في رواية المستنقع للمحسن بن هنية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة محمّد خيضر – بسكرة، 2011م، ص 110.

[4] – محمّد غنيمي هلال، النقد الأدبي، دار العودة، بيروت _ لبنان، ط : 01، 1982 م، ص 565 _ 566.

[5] – محمّد طول، البنية السردية في القصص القرآني، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون _ الجزائر، (ب ، ط)، ص 70.

[6] – محمّد يوسف نجم، فن القصة، دار صادر للطباعة والنشر، ط : 01، بيروت – لبنان، 1996 م، ص 42 .

[7] – علي عبد الرحمن فتّاح، تقنيات بناء الشخصية في رواية ثرثرة فوق النيل، مجلة كلية الآداب: العدد : 102، جامعة صلاح الدين، كلية اللغات _ قسم اللغة العربية، ص 49.

[8] – محمود السيّد حسن مصطفى، الإعجاز اللّغوي في القصّة القرآنية، مؤسّسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، ط : 01، 1981م، ص 102.

[9] – أحمد عبد الحميد غراب، الشخصية الإنسانية في ضوء القرآن الكريم، الهيئة المصرية المستدامة للكتاب، مصر، 1985م، ص 10.

[10] – عبد الكريم الخطيب، القصص في منطوقه ومفهومه، دار الفكر العربي للنشر، القاهرة – مصر، 1965م، ص 105.

[11] _ سورة آل عمران، الآية : 36.

[12] _ قاسم جار الله محمود بن عمر الزّمخشري الخوارزمي، تفسير الكشّاف (عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)، دار المعرفة، بيروت _ لبنان، ط : 01، 1423 هـ / 2002 م، ص 170.

[13] _ سورة آل عمران، الآية : 43.

[14] _ سورة آل عمران، الآية : 35.

[15] _ قاسم جار الله محمود بن عمر الزّمخشري الخوارزمي، مرجع سابق، ص 170 .

[16] _ سورة آل عمران، الآية : 37.

[17] _ سورة التحريم، الآية : 12.
[18] _ سورة مريم، الآية : 17 – 18.
[19] _ سورة مريم، الآية : 20.
[20] _ سورة مريم، الآية : 19.
[21] _ سورة مريم، الآية : 22 – 23.
[22] _ سورة مريم، الآية : 24 – 26.
[23] _ سورة مريم، الآية : 27 – 33.
[24] _ سورة النمل، الآية : 23.
[25] _ سورة النمل، الآية : 32.
[26] _ سورة النمل، الآية : 33.
[27] _ قاسم جار الله محمود بن عمر الزّمخشري الخوارزمي، تفسير الكشّاف (عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)، دار الكتاب العربي، بيروت _ لبنان، ج : 03 ، (ب ، ط)، ص 365.
[28] _ عماد الدّين أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشيّ الدّمشقي، مختصر التفسير، اختصار وتحقيق : علي محمّد الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت _ لبنان، ط : 07، المجلّد الثاني، 1402 هـ _ 1981 م، ص 671.
[29] _ سورة النمل، الآية : 29.
[30] _ سورة النمل، الآية : 35.
[31] _ سورة النمل، الآية : 36- 37.
[32] _ سورة النمل، الآية : 42.
[33] _ قاسم جار الله محمود بن عمر الزّمخشري الخوارزمي، تفسير الكشّاف (عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)، دار الكتاب العربي، بيروت _ لبنان، ج : 03 ، (ب ، ط)، ص 369.
[34] _ عماد الدّين أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشيّ الدّمشقي، مختصر التفسير، اختصار وتحقيق: علي محمّد الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت _ لبنان، ط : 07، المجلّد الثاني، 1402 هـ _ 1981 م، ص 674.
[35] _ عماد الدّين أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشيّ الدّمشقي، المرجع نفسه، ص 671.
[36] _ عماد الدّين أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشيّ الدّمشقي،المرجع نفسه، ص 673 .
[37] _ سورة يوسف، الآية : 23.
[38] _ محمّد أحمد جاد المولى، قصص القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت _ لبنان، ط : 01، 1398 هـ _ 1978م، ص 81.
[39] _ سورة يوسف، الآية : 25.
[40] _ سورة يوسف، الآية : 27.
[41] _ محمّد أحمد جاد المولى، قصص القرآن، ص 81.
[42] _ محمّد أحمد جاد المولى، المرجع نفسه، ص 85.
[43] _ سورة يوسف، الآية : 31.
[44] _ سورة يوسف، الآية : 32.
[45] _ سورة النمل، الآية : 27 _ 35.
[46] _ محمود سليم محمّد هياجنة، الصورة النفسية في القرآن الكريم (دراسة أدبية)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، عمّان _ الأردن، ط : 01، 1428 هـ _ 2008 م، ص 129.
[47] _ محمود سليم محمّد هياجنة، المرجع نفسه، ص 129.
[48] _ سورة النمل، الآية : 34.
[49] _ محمود سليم محمّد هياجنة، الصورة النفسية في القرآن الكريم (دراسة أدبية)، ص 130.
[50] _ محمود سليم محمّد هياجنة، المرجع نفسه، ص 131.

[51] _ سورة النمل، الآية : 38 _ 44.

[52] _ محمود سليم محمّد هياجنة، الصورة النفسية في القرآن الكريم (دراسة أدبية)، ص 32.

[53] _ منقول بتصرّف: محمود سليم محمّد هياجنة، الصورة النفسية في القرآن الكريم (دراسة أدبية)، ص 33.

[54] _ سورة مريم، الآية : 16 _ 30.

[55] _ قاسم جار الله محمود بن عمر الزّمخشري الخوارزمي، تفسير الكشّاف (عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)، ج : 03، ص 13.

[56] – سورة مريم، الآية : 26.

[57] – سورة آل عمران، الآية : 36.

[58] – سورة الحجرات، الآية : 11.

[59] – سورة يوسف، الآية : 30.

[60] – سورة القصص، الآية : 23.

[61] _ سورة آل عمران، الآية : 33.

[62] _ عماد الدّين أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشيّ الدّمشقي، البداية والنهاية، ج 01، ط 01، دار الإمام مالك _ الجزائر، 1427 هـ _ 2006 م ، ص 502.

[63] _ سورة آل عمران، الآية : 42.

[64] _ سورة آل عمران، الآية : 37.

[65] _ عماد الدّين أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشيّ الدّمشقي، البداية والنهاية، ص 501.

[66] _ سورة آل عمران، الآية : 44.

[67] _ منقول بتصرّف: سيّد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق للنشر والتوزيع، المجلّد : 02، ج : 05، ط : 32، بيروت – القاهرة، 2003م، ص 2640.

[68] – التهامي نفرة، سيكولوجية القصة في القرآن، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1971م، ص 20

[69] – محمّد السيّد الوكيل، نظرات في أحسن القصص، دار القلم، ج : 02، ط : 01، دمشق – سوريا، 1994م، ص 240.

[70] _ سورة آل عمران، الآية : 35.

[71] _ منقول بتصرّف: محمّد أحمد جاد المولى، قصص القرآن، ص 207.

[72] _ منقول بتصرّف: سيّد قطب، في ظِلال القرآن، ج : 01، ص 392.

[73] _ سورة آل عمران، الآية : 36.

[74] _ سورة آل عمران، الآية : 37.

[75] _ سورة آل عمران، الآية : 44.

[76] _ سورة آل عمران، الآية : 35.

[77] _ سورة مريم، الآية : 29.

[78] _ سورة مريم، الآية : 25.

[79] _ سورة آل عمران، الآية : 37.

[80] _ سيّد قطب، في ظِلال القرآن، ج : 01، ص 393.

[81] _ سورة النمل، الآية : 23.

[82] _ عماد الدّين أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشيّ الدّمشقي، البداية والنهاية، ص 458.

[83] _ سورة النمل، الآية : 32.

[84] _ عماد الدّين أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشيّ الدّمشقي، البداية والنهاية، ص 459.

[85] _ سورة النمل، الآية : 42.

[86] _ عماد الدّين أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشيّ الدّمشقي، مرجع سابق، ص 461.

[87] _ سورة يوسف، الآية : 23.

[88] _ سورة يوسف، الآية : 51.

[89] _ إبراهيم أنيس _ عبد الحليم منتصر _ عطية الصوالحي _ محمّد خلف الله أحمد، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط : 02، القاهرة – مصر، 1972م، ص 178.

[90] _ سورة يوسف، الآية : 26.

[91] _ سيّد قطب، في ظلال القرآن، ج : 04، ص 1983.

[92] _ سورة آل عمران، الآية : 35 _ 37.

[93] _ سورة آل عمران، الآية : 37.

[94] _ سورة مريم، الآية : 20.

[95] _ سورة النمل، الآية : 41 _ 43.

[96] _ محمّد عبد الله عبده دبّور، رسالة دكتوراه في الأدب والنقد (أسس بناء القصة من القرآن الكريم _ دراسة أدبية ونقدية)، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية بالمنّوفية، قسم الأدب والنقد، 1417 هـ _ 1996 م، ص 129.

[97] _ سورة يوسف، الآية : 25.

[98] _ محمّد عبد الله عبده دبّور، رسالة دكتوراه في الأدب والنقد (أسس بناء القصة من القرآن الكريم)، ص 127.

[99] _ سورة يوسف، الآية : 31.

[100] _ محمّد عبد الله عبده دبّور، أسس بناء القصة من القرآن الكريم، ص 188.

المصادر والمراجع

– القرآن الكريم.

1 – إبراهيم أنيس _ عبد الحليم منتصر _ عطية الصوالحي _ محمّد خلف الله أحمد، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط : 02، القاهرة – مصر، 1972م.

2 – أحمد التحاني سي كبير، شعرية الخطاب السردي في رواية المستنقع للمحسن بن هنية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة محمّد خيضر – بسكرة، 2011م.

3 – أحمد عبد الحميد غراب، الشخصية الإنسانية في ضوء القرآن الكريم، الهيئة المصرية المستدامة للكتاب، مصر، 1985م.

4 – التهامي نفرة، سيكولوجية القصة في القرآن، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1971م.

5 – جيرارد برنس، المصطلح السردي (معجم مصطلحات) ترجمة عابد خزندا، مراجعة وتقديم : محمد بريري، طبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 2003 م.

6 – حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (فضاء – زمن – شخصية)، المركز الثقافي العربي، ط : 01، 1991 م.

7 – سيّد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق للنشر والتوزيع، المجلّد : 02، ج : 05، ط : 32، بيروت – القاهرة، 2003م.

8 – عبد الكريم الخطيب، القصص في منطوقه ومفهومه، دار الفكر العربي للنشر، القاهرة – مصر، 1965م.

9 – علي عبد الرحمن فتّاح، تقنيات بناء الشخصية في رواية ثرثرة فوق النيل، مجلة كلية الآداب: العدد : 102، جامعة صلاح الدين، كلية اللغات _ قسم اللغة العربية.

10 – عماد الدّين أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشيّ الدّمشقي، مختصر التفسير، اختصار وتحقيق : علي محمّد الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت _ لبنان، ط : 07، المجلّد الثاني، 1402 هـ _ 1981م.

11 – قاسم جار الله محمود بن عمر الزّمخشري الخوارزمي، تفسير الكشّاف (عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)، دار المعرفة، بيروت _ لبنان، ط : 01، 1423 هـ / 2002م.

12 – محمّد أحمد جاد المولى، قصص القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت _ لبنان، ط : 01، 1398 هـ _ 1978م.

13 – محمّد السيّد الوكيل، نظرات في أحسن القصص، دار القلم، ج : 02، ط : 01، دمشق – سوريا، 1994م.

14 – محمّد طول، البنية السردية في القصص القرآني، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون _ الجزائر، (ب ، ط).

15 – محمّد عبد الله عبده دبّور، رسالة دكتوراه في الأدب والنقد (أسس بناء القصة من القرآن الكريم _ دراسة أدبية ونقدية)، إشراف : فتحي محمّد أبو عيسى، جامعة الأزهر، كليّة اللغة العربية بالمنّوفية، قسم الأدب والنقد، 1996م.

16 – محمّد غنيمي هلال، النقد الأدبي، دار العودة، بيروت _ لبنان، ط : 01، 1982م.

17 – محمّد يوسف نجم، فن القصة، دار صادر للطباعة والنشر، ط : 01، بيروت – لبنان، 1996م.

18 – محمود السيّد حسن مصطفى، الإعجاز اللّغوي في القصّة القرآنية، مؤسّسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، ط : 01، 1981م.

19 – محمود سليم محمّد هياجنة، الصورة النفسية في القرآن الكريم (دراسة أدبية)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، عمّان _ الأردن، ط : 01، 1428 هـ _ 2008م.